

# بين التجريد والخط العربي

عقيل عباس الأوسي

عراقي ينتج رسما أشبه بالموسيقى

فاروق يوسف  
كاتب عراقي



ما الذي يعثر عليه الرسام التجريدي في الخط العربي ليسرره ويجعله واقعا تحت تأثيره؟ هذا الأمر لا يقتصر على الرسامين العرب بل يشمل عددا من كبار الرسامين في العالم. الفرنسي أندريه ماسون شغف بأشكال الحروف العربية واستعملها في لوحاته غير أنه لم يصل إلى مرحلة الخط. فالخط نظام عقلي قبل أن يظهر على حياة صور. من الصعب على الرسام أن يدخل إلى المتاهة التي تتشكل في فراغ هندي من غير أن يضع عقيل عباس الأوسي فعلها حين حمل الخط معه إلى التجريد. لقد عاش هذا الرسام زمنا طويلا في باريس رساما تجريديا. أما حين قرر الانتقال إلى الخط العربي وجد أن باريس ليست هي المكان المناسب لإنجاز تلك النقلة المصرية في حياته فانتقل إلى الرياض.



**الأوسي يحمل الخط معه إلى التجريد. عاش زمنا طويلا في باريس رساما تجريديا. أما حين قرر الانتقال إلى الخط العربي، وجد أن باريس ليست هي المكان المناسب لإنجاز تلك النقلة المصرية في حياته، فانتقل إلى الرياض**

كانت الرياض بمثابة مكان آمن ومطمئن لوقوع ذلك التحول. استبدل عقيل حياة باخرى مثلما استبدل أسلوبا بصريا باخر فكان أن عثر على المكان الذي يشكل طوق حماية لتجاربه في الخط والتي ستكون تمهيدا للوصول إلى أسلوبه الخاص في الجمع بين فني الخط والرسم في محاولة بصرية نادرة، من جهة استرسالتها في الكشف عنجماليات الفنين في وقت واحد.

## قطيعة وانفتاح

ولد الأوسي عام 1948. تخرج من معهد الفنون الجميلة ببغداد، ثم انتقل إلى باريس لإكمال دراسته فحصل على الدكتوراه في فن اللينوغراف. وبالرغم من أن الأوسي قد فضل الإقامة والعمل في باريس على العروض التي جمعته بعدد من الفنانين العراقيين المكرسين غير

أنه ومع الوقت صار يكتفي بعروضه الباريسية والأوروبية. وبسبب ذلك الانقطاع الذي رافقه انفتاح على تحولات الفن الحديث في العالم ليس من الصحيح البحث عن أواصر الصلة التي تربط بين تجربة هذا الفنان والرسم الحديث في العراق. تلك تجربة نمت وتطورت في حضان التجربة الأوروبية الذي فتح أمامها طرقا في التعرف على الفن لم تفتح أمام الفنانين العراقيين الآخرين، فكان مختلفا في فهمه للأسلوب التجريدي نتيجة اتصاله المباشر بما ينجزه الفنانون الآخرون. كان تجريديا لزمنا طويلا غير أن حكايته مع الخط العربي سيكون لها أكبر الأثر في التحكم بأسلوبه ومصير لوحته ونوع متلقيها.

## سعي وراء الموسيقى

يعيدنا الأوسي إلى زمن التجريد الفني، لكن بطريقة، يمزج من خلالها مرجعيات جمالية سيكون من الصعب توقع تلاقيها على سطح تصويري واحد. فالفنان الذي عُرف في أوقات سابقة بولعه بفن الخط العربي نجح أخيرا في الوصول إلى مواقع الإيقاع، من غير المرور بالعناصر الشكلية التي يأسر من خلالها الخط مفرداته. وهو هنا إنما يطبق تلك المقولة التي تشير إلى أن كل الفنون تسعى إلى أن تكون موسيقى. ففي لوحاته تتماهى الحواس، بعضها مع البعض الآخر، كما لو أنها تمارس الشيء نفسه. ذلك الشيء الذي ينفذ على جنة سرية لا تستعير موادها من الواقع، بقدر ما تستخرج عناصرها من ذاته، ليكون الشيء الذي نراه هو ذاته الشيء الذي نسمع رنين أجراسه أو نشم رائحته أو نلمسه باعتباره رسالة من مكان خفي.

ذلك كله لا يمكن أن يكون حقيقيا ما لم يخلص الرسم إلى حريته في أن يكون مستقلا عما يصوره أو يفكر فيه أو يتخيله. هو ما يمكن أن نسميه الرسم الخالص. ولأنه عاش الجزء الأكبر من حياته في الغرب، فإن خبرته بالتحولات الأسلوبية تؤهله لاختيار الطريق التي تناسبه من أجل الوصول إلى المنطقة التي يكون فيها الكشف عن قوة الإيقاع التي ينطوي عليها أثر الحرف العربي أمنا، بحيث يمتزج ذلك الإيقاع بمفهوم اللوحة الحديثة من غير التعكز على المقولات الجاهزة التي تتعلق بالهوية والتراث. ينتج الأوسي أعمالا فنية حديثة يمكن النظر إليها من خلال

العودة إلى مرجعية فنية عالمية مطلقة عابرة لحدود الثقافات. الرسام هنا لا ينتهي إلى العصر بقوة ماضيه بقدر ما يسعى إلى تأنيث العصر بما استلهمه من خيال يديه اللتين كانتا مشدودتين إلى قوائين فن، لم يتعرف عليه الغرب إلا باعتباره نوعا من التجريب الفني القائم الارتباط بالقدس. ذلك الدرس الذي استوعبه الأوسي جيدا حين اختار أن يشق طريقه إلى الحداثة الفنية باعتبارها خيارا وحيدا. يومها وضع الفنان قدميه على السلم الذي لن يغادره. ذلك ما جعله مقيما في السؤال الذي يتعلق بمصير الفن. وهو ما أعاده في أوقات سابقة إلى أن ينظر باسترخاء إلى ماضيه الجمالي. لقد تأنى في عملية تشكيل الكائن الفني الحديث الذي سيكونه. فكان أشبه بالمؤلف الذي يعود إلى مرجعيات شخصية ليصل إلى الحقيقة.

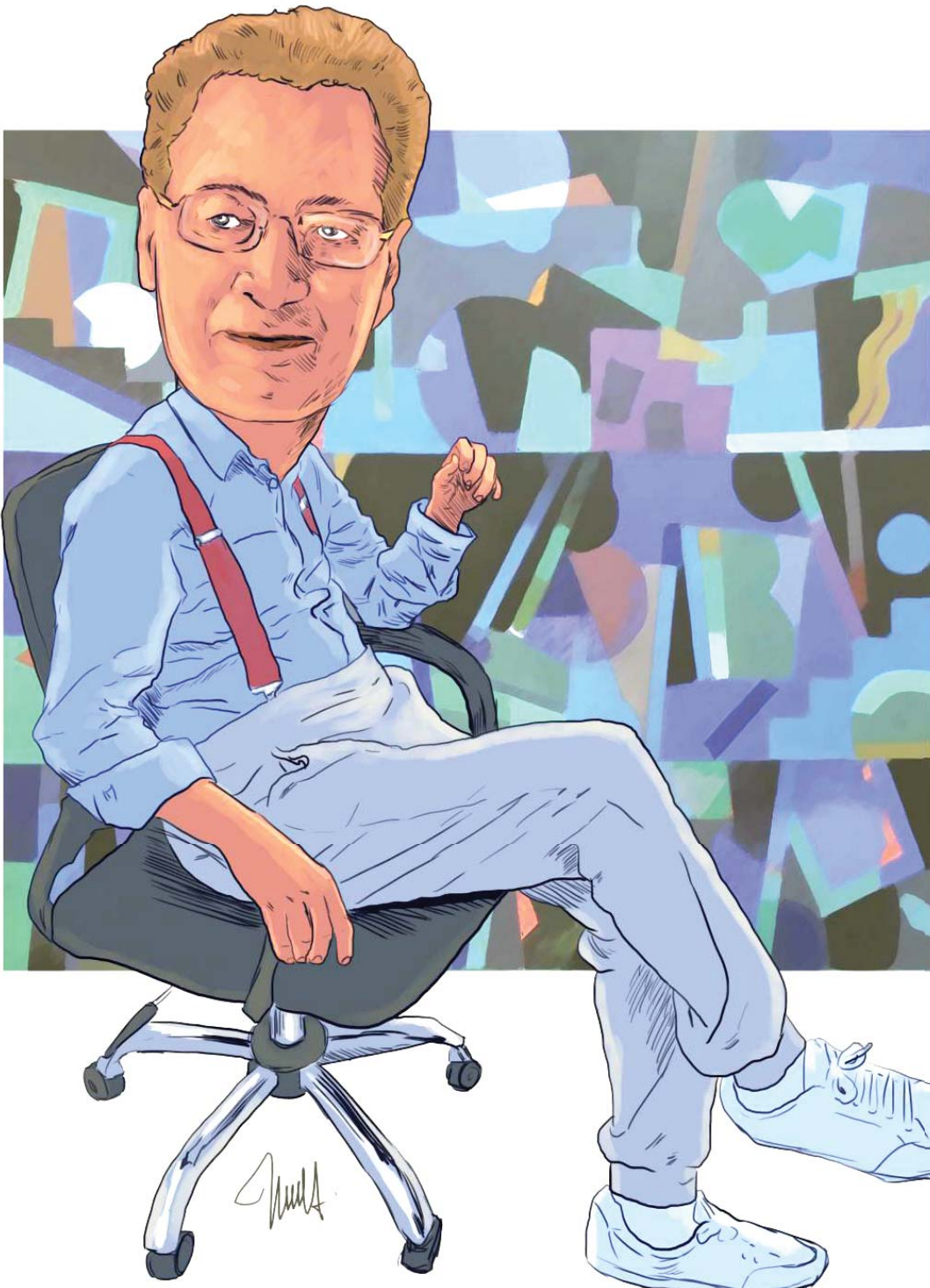
كانت الحقيقة الجمالية في مكان آخر. ذلك ما توصل إليه. يومها، صار عليه أن ينتج فنا مختلفا. هو ذلك الفن الذي لم يهدر من خلاله شيئا مما تعلمه. حياته كلها في لوحاته. إنه يرسم كما لو أنه يتذكر فصولا من حياته. ذلك التجريد الصافي هو السطح لحياة تضج بالألم. سيكون من الصعب وصف جمال يتألم. تلك فكرة عن الرسم تقابلها فكرة أن يكون النظر إلى العمل الفني مناسبة للسعادة.

## حقيقة أشبه بالحلم

إذا ما نظرت إلى تجربة الأوسي في سياق المحترف الفني العربي لا بد أن أشير إلى أن تلك التجربة تعد واحدة من أهم التجارب الفنية التي زاوجت بين المحلية والعالمية، بطريقة بعيدة عن شعارات الهوية والأصالة المقتعلة. إنه فنان أصيل لكن بشروط جماليته الخاصة. غير أن النظر إلى تجربته الفنية في فضاء المحترف الفني العربي يهبها قدرا من الخصوصية باعتبار تلك التجربة لا تشكل امتدادا لتجارب سبقها بقدر ما تمثل كيانا قائما بذاته، بعيدا عن تأثيرات المنجز الحداثوي العربي. فنه إضافة نوعية إلى

ذلك المنجز، من جهة كونه يفتح الأفق على مناطق بصرية لم يسبق للرسامين العرب أن اقتربوا منها. غالبا ما كان استلهم الحرف العربي جماليا يستند أما على صورة الحرف وإما أثره. أما لدى الأوسي فقد كان الإيقاع هو الأساس. وهو ما يعني أن الأشكال المجردة صارت تنعم بحرية تستمدتها من ارتباطها بالموسيقى وهي ما تبقى من جماليات بصرية لن يكون ضروريا البحث عن معان لها في المحيط اللغوي. ذلك لأنها تمثل في حد ذاتها لغة بصرية مستقلة.

لهذا السبب يمكن اعتبار فن الأوسي ظاهرة استثنائية في تاريخ الحداثة الفنية في العالم العربي. لا لأنه لا يشبه سواه من الفنانين العرب وليس لأنه اخترع مسافة فصله عن المحترف



**خبرته بالتحولات الأسلوبية تؤهله لاختيار الطريق التي تناسبه من أجل الوصول إلى المنطقة التي يكون فيها الكشف عن قوة الإيقاع التي ينطوي عليها أثر الحرف العربي أمنا، بحيث يمتزج ذلك الإيقاع بمفهوم اللوحة الحديثة من غير التعكز على المقولات الجاهزة التي تتعلق بالهوية والتراث**

الفني العربي فحسب بل وأيضا لأنه نجح في ابتكار طريقة جديدة يكشف من خلالها عن أشتباك هويته المحلية بهويته العالمية. إنه فنان عربي يتنفس هواء العالم بحرية وخفة وشعور عظيم بالاطمئنان. ذلك لأن لغته البصرية التي يمكن اعتبارها لغة عالمية تظل محملة بخصوصيتها. تلك لغة تشير إلى أنه فنان من الشرق.

غير أن ذلك الشرق يمر بسلام بسبب انفتاح لغته على العالم. وكما أرى فإن فن عقيل عباس الأوسي يمثل لحظة تحول مهمة في تاريخ الحداثة بالعالم العربي. ذلك لأنه أشبه بالحلم الذي يقود إلى الحقيقة. حين نرى لوحاته نظن أننا نحلمنا في الوقت الذي نقوم فيه تلك اللوحات بتأكيد حقيقة ارتباطنا بالعالم.

